وسائل دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم

عبدالرحمن محمّد عارف[1]- عثمان محمود سعيدالله[2]

[1]قسم أصول الدين، كلية العلوم الإنسانية، جامعة حلبجة، حلبجة، اقليم كردستان، العراق.

[2]قسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة السليمانية، السليمانية، اقليم كردستان، العراق.

الملخص:

هذا البحث المعنون بـ: وسائل دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم، مستلّ من أُطروحتي للدكتوراه الذي عنوانه: فقه المقاصد والمآلات من خلال دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم-تحرير الإنسان أُنموذجاً- دراسة تحليلية، وأبحث فيه عن الوسائل المستخدمة في الدعوة إلى الله سبحانه من قِبَل النبي موسى (عليه السلام) عندما واجه فرعون وسلطته، من أجل ذلك أكتب مقدمة للبحث تتكون من خمس فقرات الأولى: لماذا هذا البحث؟، والثانية: دراسات سابقة، أما الثالثة: منهجي وطريقتي، وفي الرابعة: أقدّم هيكلاً للبحث ومحتواه، ثم قمتُ في تمهيد بالتحدّث عن موضوع عنوانه: في (فقه الوسيلة) و(فقه الاختزال) بين اللغوية والاصطلاحية، أما في المبحث الأول أدور حول مسألة مهمة بعنوان: فقراء في (فقه الوسائل وتسخيرها) وأغنياء في (فقه المقاصد وتشريحها)، وفي المبحث الثاني: الفقه الثلاثي للوسائل وفقهيات أخرى، أستعرض أنواعاً من الفقهيات المتخصصة في معرفة الوسائل، وعند وصولي إلى المبحث الثالث المعنون بـ: هل الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) استخدموا الوسائل المحرّمة ؟أسأل سؤالاً جديداً وأقدم له أجوبة قرآنية متعددة، وفي المبحث الرابع استنفر كافة السبل لاستدراك كافة الوسائل بعنوان: في سبيل استنفار الوسائل واستدراكها، وفي المبحث الخامس: وسائل دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم، أُحلل بالاعتماد على الآيات القرآنية المجالات والفرص الواسعة التي تنتج الوسائل الدعوية التي تحراها النبي موسى(عليه السلام) واستنزل بها دعوته إلى الواقع المجتمعي ، وأكتب في نهاية البحث نتائجه وبعض التوصيات في عدة نقاط واضحات ومهمات.

كلمات مفتاحية: الوسيلة، دعوة موسى، فرعون، الاجتهاد.

Article Info:

DOI: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

Received: 25-April-2022

Accepted: 06-June-2022

Published: 29-September-2022

Corresponding Author's E-mail:

mahammadbakr1968@gmail.com

dr.osman.mahmwd@gmail.com

This work is licensed under CC-BY-NC-ND 4.0

Copyright©2022 Journal of University of Raparin.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

من المفيد للقرّاء وأهل التحقيق أنْ أُعلنَ أنّ هذا البحث مستل من أطروحتي للدكتوراه بعنوان: (فقه المقاصد والمآلات من خلال دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم-تحرير الإنسان أُنموذجاً- دراسة تحليلية)، لذلك قد تجد مأخذاً يخصّ مبدأ التفصيل مكان الإجمال أو الإجمال مكان التفصيل أو غير ذلك، إنْ حدثَ ذلك تذكّر أن هذا البحث مأخوذ ومولود من بحث أكبر منه، ولا يجب أن يحمل الولد جميع صفات والده لإثبات البنوة والأبوة بينهما، وألخّص المقدمة في الفقرات الأتية:

الأولى: لماذا هذا البحث وما أهميته؟

أهمية هذا البحث يكمن في عنوانه وفي مضمونه، لأنّ مفردات العنوان (وسائل دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم) تحمل خبراً جديداً، واهتماماً مستحدثاً، وعملاً علمياً طازجاً، وإذا وفقك الله لرؤية الأطروحة كاملة ربما سيثبت لك هذا الخبر السارّ، فآمل من كل قلبي وأرجو من الله سبحانه ألاّ أُخيّب ظنّكم، ولا أُثبّط ثقتكم، فإن فقه الوسائل لا يقلّ قيمة من فقه المقاصد، خاصة إذا كانت الدراسة مخصوصة بوسائل نشر العقيدة الموسوية-عليه السلام- من خلال الآيات والسور القرآنية.

الثانية: دراسات سابقة :

فإنّ ممّا لا شكّ فيه أن الكتابة حول الوسائل والأسباب ليست منعدمة، فهناك كتب قديمة، ولدينا بحوث وكتب معاصرة أدت دوراً محترماً في عرض الوسائل وحكمها وأنواعها، أما البحث حول الوسائل الدعوية الموسوية في القرآن الكريم فلم أجد-حسب علمي وقدر المساحة التي عملت فيها- عنواناً بهذه الصياغة، وقد يكون في مكان ما وجامعة ما كتب وبحوث قريبة من هذا العنوان، أو فصول خاصة داخل أطروحات جامعية، لكن لم أطلّع عليها، ذلك الانعدام للعنوان والمحتوى الخاص به دفعني إلى الكتابة عنه والبحث حوله.

الثالثة: منهجي وطريقتي العلمية

إنّ المنهج العلمي لأيّ بحث جامعي إذا كان الباحث موفقاً فيه يُعطيه الجرعة القوية لدرجة القبول ومستوى الاستقبال، وقناعتي في هذا الخصوص وفي هذه الدراسة أنّ منهج (الاستقراء والتحليل) والبحث وراء (المستورات من الحِكم والعِبر) أشدّ ضرورة لواقعنا وعصرنا، لذلك اعتمدت عليها وجعلتها طريقة فضلى في تشكيلي لهذا البحث.

الرابعة: هيكل البحث ومحتواه

بعد ذكر العنوان أُلخّص البحث في أسطر قليلة، فأذكر بعده كلمات مفتاحية وإثره كتبت مقدمةً فتجد تمهيداً تحت عنوان: في(فقه الوسيلة)و(فقه الاختزال) بين اللغوية والاصطلاحية، ثم يأتي المبحث الأول: فقراء في (فقه الوسائل وتسخيرها) وأغنياء في (فقه المقاصد وتشريحها)، ويليه المبحث الثاني: الفقه الثلاثي للوسائل، ثمّ في المبحث الثالث أتحدّث وأجيب عن: هل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- استخدموا الوسائل المحرّمة؟ ويتلوه المبحث الرابع الذي أخصصه لـ: في سبيل استنفار الوسائل واستدراكها، وفي النهاية عند المبحث الخامس أفصّل في: وسائل دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم، ثم تأتي نتائج البحث فملخصاً قصيراً عنه باللغة الانكليزية.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

تمهيد

في (فقه الوسيلة) و(فقه الاختزال) بين اللغوية والاصطلاحية

كنت قد قررت ألاّ أُشغِل القرّاء والمهتمين والدارسين بالتعريفات اللغوية والاصطلاحية لمفردة (الوسائل) زاعماً أنّ ذلك لا يدخل ضمن (الضروريات) البحثية نظراً لوضوحها ومرفوعية الحجاب عن معانيها ومضامينها، هكذا كنت أتخيّل وأضع الحجر فوق الحَجر في تنظيم أفكاري، وتخصيب وتغذية أعمالي البحثية في مردودات الوسائل، لكنّني ما وُفّقتُ إلى ذلك سبيلاً، والصراحة فريضة في آنها ومكانها، وبدا لي أنّ الدخول إلى حدّ من حدودها اللغوية الابتدائية على أقل تقدير قد يكون مفيداً ومبيّناً لبعض الزوايا والخفايا، وكنت أرى في اللحظة نفسها أنّ اللجوء إلى تعريفات وتعريفات معارضة، والعمل على التصالح فيما بينها، والتفاوض لكي أصل باختلافاتهم إلى وفاق جماعي، ووئام عامّ ربّما غير مجد وغير فعّال إلى مستوى كبير لأنّ الاختلاف على حدود (الوسيلة) من حيث مضموناتها، وأنواعها، ومواقعها كبير والاحاطة بجميع مفاصلها وواصلاتها غير عملي، ولا يرتقي إلى مستوى الضرورة، والواجب في مبحث مصغّر ومحدود كما هنا.

إنَ التلاوة الظاهرية المبسطة للكلمات والجُمَل والنصوص، والتعامل الفطري الميَّسر مع الأشياء، والكلمات، والمجتمعات نعمة ربانية، وهو تحرير الأرواح والأنفس من العُقَد والتَعقّد قبل كونه علماً ومعرفة وفناً معتمداً عند فئة كبيرة من العلماء قديماً وحديثاً. لذلك ترى وتسمع أنّ الاهتمام بـ(فقه الوسائل) فَرَضَ وجوده بشكل واسع، وبصورة مفصلة في كل المنظومات العقدية والتشريعية والأخلاقية قبل وأثناء التطبيق لها، أو أثناء تعليقها أو توقيفها مؤقتاً، أو عند ترجيح بعضها على بعض، أو لحظة التجميع بين أحكامها عند الاختلاف أو التعارض الجزئي فيما بينها. وأسأل هل نحن بحاجة فعلية إلى تعريفات لشيء معروف بالفطرة مثل (الوسيلة) أم نحتاج إلى كيفية الاطلاع، وطرق الإحاطة بفقهياتها (الوجودية) و(التأثيرية)، وأدوارها، وإقامتها وقيادتها في إيصال الباحث المقاصدي إلى المقاصد والمآلات والأحكام المتنوعة؟، وما هي خطورتها على الإنسان والأحكام والحياة الدينية والدنيوية عندما تغيب الوسيلة أو تتقلص أو تندر أو تستغلق ؟.هذه الأسئلة وغيرها تدعو الباحث الجدي وتناديه إلى استقدام الأجوبة الجدية المنصفة لفهم الوسائل، والتعريف بها، والأخذ بها أو تركها عندما يأتي مبرّر لذلك، كي لا يصطدم المكلف أو المستنبِط بمقصود غير شرعي، أو لا يتبنى وسيلة غير مشروعة للوصول بها إلى مقصود مشروع، وبهذا يثبت مجملاً كما أفهم أنّ الوسيلة وسيلتان: وسيلة (محمودة ومحبوبة)، ووسيلة (مذمومة ومبغوضة). فما دام قد سلّمنا بأنّ معرفة الأوضاع اللغوية (للوسيلة)، وتسليط الأضواء عليها حاجية ولو في أدنى مستويات التعريف والعرض لأضلاعها المعنوية، وفقراتها التضمنية الباطنية، نكون قد وصلنا إلى القول التمهيدي بـ" أنّ الوسيلة في أصل الوضع اللغوي كلّ أمر يتوصّل به إلى أمر آخر، سواء كان ذلك الأمر محسوساً أم معنويا، وسواء كان مشروعا أم غير مشروع"[(i)].

(الوسيلة) في أبسط صورها التعريفية المفهومة هي أدوات موصِلة، وأسباب مربِطة، وذرائع مصفِدة بين أمر وأمر آخر، وبين واقع وواقع مختلف عنه، فالوسيلة هنا تتحمل مسؤولية إجبارية للتأسيس والتكوين والتزويج بين الطالب ومطلوبه،

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

والناشد ومنشوده، والناكح ومنكوحه، والآمل ومأموله، أعني بتوضيح آخر أنّ الوسيلة في حقيقتها وماهيتها مأمورة ومحكومة بإرادة الإنسان، وقبله محكومة بإرادة الله سبحانه، عندما تُستخدم وتُستقدم لنيل مفقود، أو إحداث حدث، أو إنزال أمر من الأوامر أو غيره من المسائل التي تحتاج احتياجاً كاملاً إلى الوسيلة والوصيلة والعاقدة، إذن الوسيلة بهذا الشرح لها صاحبان قاهِران ومستخدِمان يسوقانها، الصاحب والقاهر، الأول هو الله القهّار السرمدي ذو الارادة المطلقة والنفوذ المرسل، الصاحب والقاهر الثاني المختار القادر الممتدّ لكنه المحدود بالزمان والمكان والامكان هو الإنسان، والأوفق بالقول للعلاقة بين الوسائل وبين الخالق من جهة والإنسان من جهة أخرى أن نقول أن الله سبحانه هو الخالق للوسائل والسائق لها كيف شاء ومتى شاء، أمّا الإنسان فليس له مرتبة غير مرتبة الاستخدام والابداع والاستخضاع عندما يهمّ بعمل أو حركة أو تغيير.

وألاحظ شيئاً آخر" أنّ أصل المادة (أي الوسيلة) على أن المسمى بذلك ليس مقصوداً لذاته، ولكنه يقصد للتوصل به إلى مقصود آخر"[ii] ، فالمرمى للوسيلة، سواء كان كبيراً أو صغيراً أو متوسطاً، يُعطي قيمة ومقاماً محموداً أو مذموماً لها، وإلاّ لا قيمة لها ولا مقاماً مشكوراً إنْ لم تؤدِّ إلى غاية مباركة، أو تُمنع بها غاية غير مباركة، و" الغايات والنتائج من وراء الأفعال تسمى بالمقاصد، والأفعال نفسها يُعبر عنها بالوسائل" [iii]. وفي التعريف اللغوي للوسيلة قَيد يُسمى الرغبة-كما يذكره بعض العلماء- يُستدل به على" أنّ المتوسِل إنّما باشر الوسيلة لرغبة في شيء آخر، هو المقصود الأصلي، وهذا يكشف لنا عن مدى العلاقة بين الوسائل والمقاصد"[iv]. كأنّ لرغبة دافعة، وحظوظ من الشعور بالحاجة، ووجود نوع من الإحساس بالقرابة، وعشق مستور رَبَط بين كلمة ومعاني (الوسيلة) بكلمة ومعاني (المقصد)، وعَقَد بينهما قِراناً أبدياً، وولادة تلك الترابط معلقة بأصبع الإنسان المقاصدي وإرادته عندما يَهمُّ في كشف المقاصد وإحيائها، والحركة بها.

أما (الوسائل) بالمعنى الاصطلاحي المخصوص عبارة عن "الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد"[v]. وفُسِّر المقصود بالأفعال وسُمّيَت نُبُذاتها بـ" ما يصدر عن العبد مطلقاً، سواء كان من أفعال الجوارح أم القلوب"[vi]. وهي" كلّ فعلٍ يُتَوصّل به إلى مصلحة أو مفسدة فهو وسيلة بالمعنى العام، سواء كان الفعل مشروعاً أم غير مشروع، وسواء كان يؤدي إليها مباشرة أم بواسطة"[vii]، جاء الوقت لأقول بأنّ مفهوم (الوسائل) وتعريفها في غرفتي اللغة والاصطلاح فيما عرفتها وعرضتها، لا أجد فيهما فرقاً، ولا أرى بينهما نزاعاً يفصل بين واقعها اللغوي ودنياها الاصطلاحي، وكأنّي أسمع كلاماً وأكتب حديثاً يتحدث عن شيء واحد لكن تحت بندين واسمين مختلفين، وإنْ شَعرتَ بشيء ذاع منه همسة اختلاف فَاعلَم أنه اختلاف بين الانفكاك والاختزال، أو بين العموم والخصوص، ففي اللغة تجد إختزالاً= استقباضاً، وفي الاصطلاح تجد تفصيلاً، وما بين الاختزال والانفكاك قد يُحدِث فهماً خاطئاً يحتاج إلى التصويب قبل الاقرار بما نتج عنهما من زلل أو زيادات أو تضارب أو عدم تناغم.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

المبحث الأول

فقراء في (فقه الوسائل وتسخيرها) وأغنياء في (فقه المقاصد وتشريحها)

رغم التجديدات المعاصرة المشتركة والفردية، والدراسات المحدَثَة المتنوعة بلغات ولغات، وتأليف المؤلفات بكل الأحجام، وإقامة المؤتمرات العديدة في دول وأقاليم، وكتابة البحوث الجامعية والمدرسية، وفتح المراكز في عواصم كبيرة لخدمة علم المقاصد ورجالاته ومناهجه ومصادره وآثاره وتاريخه ومراحل تطوره ومواقف المعارضين منه في القديم والحديث، وجزء كبير من هذه الخدمة الجليلة والجبارة دخلت وتدخل في مصلحة التعريف بـ(الوسائل) وتوظيفها واستثمارها إلاّ أنّه" ما زال (فقه الوسائل)- على ما أنفق فيه من كرائم الجهد والوقت والرأي- طريَّ العود، فجَّ الثمرة، إذا قيس بشقيقه الأكبر (فقه المقاصد)"[viii] و" لا جرم أنّ الوسائل ترتبط بالمقاصد ارتباط العلة بالمعلول في نَسبِ جلب المصالح ودرء المفاسد، وآصرة الاجتهاد في تحقيق المناط، وتنزيل الأحكام على محالها، وإن كان يغتفر في الأولى ما لا يغتفر في الثانية، ويُعطى من الصدارة للثانية ما لا يُعطى للأولى، تقديما للمتبوع على التابع، وللقائد على المقود"[ix].لقد جعل الله لكل شيء درجة وقربة ومكانة إنْ كان معدوداً ضمن الحسنات والخيرات والصالحات، وجعل لكل شيء دَرَكة وطأطأة إنْ كان محسوباً على السيئات والشرور والفاسدات، من هذا المنطلق القدَري فقد أعلى الله من مقام المقاصد ومنصبها، وقدّمها على الوسائل والأدوات في كل حين، وكل حَول، وعند الاختيار لأي حلّ أو حركة، وجعل من الوسائل تابعاً للمقاصد، وكلما كانت المقاصد مباركة كلّما كانت الوسائل مباركة، وطالما أنّ المقاصد فاسدة وباطلة وخبيثة، تتحقق وتتيقن لديك أنّ الوسائل تابعة للمقاصد في فسادها وبطلانها وخباثتها. وتبعية الوسائل واسترقاقها للمقاصد" مبحث مهم لم يفِ المتقدمون بما يستحقه من التفصيل والتدقيق، واقتصروا منه على ما يرادف المسألة الملقبة بسدّ الذرائع، فسَموا الذريعة وسيلة والمتذرّع إليه مقصداً، ونحن قد قضينا حق البحث في سد الذرائع، وجعلنا مبحث المقاصد والوسائل متطلعاً إلى ما هو أعلى من ذلك، ولم يسبق إلى فرض هذا في غير بحث سدّ الذرائع، سوى ما ذُكر في كتاب القواعد لعزالدين بن عبدالسلام، وما زاده شهاب الدين القرافي في (الفرق الثامن والخمسين) وأنا أجمع بين كلاميهما لعدم استغناء أحدهما عن الآخر"[x].

كما قلت في الأسطر الماضية على لسانهم، وكذا الواقع العلمي، وقلة المصادر والمؤلفات المستقلة تشهد لذلك، فنحن أمام ميزان مختل وهو: أننّا فقراء في (فقه الوسائل وتسخيرها) وأغنياء في (فقه المقاصد وتشريحها) ووصل هذا الفقه العظيم في المرحلة الراهنة إلى حد النصاب ونوع من الكمال، وهذا الافتقار والمسكنة في قسم مهم من المقاصد، والوفرة، والتضخم في قسم آخر يؤديان إلى انعدام التوازن، وانتشار الاختلال في الفهم الاجتهادي، والتطبيق الميداني لـ(مقاصد الشريعة) و(للشريعة المقاصدية) على الصُعُد كلها، فنحن أغنى أمة في (وجود الوسائل) والأسباب، وأفقر أمة في توفيرها وإخضاعها وفقهها وتوظيفها واستثمارها للدين والدنيا، وللحاضر والمستقبل الثقافي والحضاري والإنساني العام، فالعقل المقاصدي شغّال، وفوّار، وقوّام بواجباته، إنّما الجوارح -القائمة بالأعمال مقام الوسائل أو هي الوسائل نفسها- مسلسلة

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

ومكبلة، والإنسان مشلول لا يقدر على حمل الأمانة الإلهية، والتكليفات الربانية في العبادة، والعِمارة، والإيمان والحضارة، والعلاقات الإنسانية إنْ لم يتحرك العقل مع الجوارح، والجوارح مع العقل كأعضاء فريق واحد وموحد فـ" أنت ترى كلامهما-أي العزوالقرافي- مقتصرا على تخصيصها بمبحث المصالح والمفاسد، فغرضنا هنا أوسع ، والفقيه إليه أحوج"[xi].

وبهذا المذهب الذهبي والمبدأ الثابت تعلو فقه الشريعة ومقاصدها، وتتجدد قواعدها، وتعيش الواقع لحظة بلحظة، فإذا " أردنا أنْ نعيد للفقه الإسلامي رونقه وبهاءه فما علينا إلاّ أنْ نحرص على المزاوجة بين النصّ ومقصده، وبين الكلية وجزئياتها، وبين المقاصد ووسائلها، ذلك أنّ الأصل في الفَقَاهة الإسلامية أن تقوم على قراءتين: قراءة اللفظ والمبنى، وقراءة الروح والمعنى"[xii].ومن العلماء مَن يقول: بأنّ (الوسائل) هي في ذاتها أحكام إلهية، وإصدارات نبوية تتكون من الأوامر والنواهي والاختيارات قبل كونها مواد مُعَدة، أو أسباب مستحضَرة، أو ذرائع مقدَّرة مكوّمة للوصول بها إلى المسائل، أو المواضيع، أو الأشياء، أو الأحوال المقصودة والمرغوبة فيها، والمعزومة عليها، وهذا الابتناء الشرعي، والنظرة الإسلامية للوسائل باعتبارها أوراد حُكمية وإفتاءات وقضاءات لها نصيب وافر من الصحة، وقسمة كبيرة من الصواب، وعند اختفاء الدليل وفقدان الحجة للدفاع عن رؤيتهم، ينبغي أنْ نلوذ جميعنا بالقاعدة الأصولية القائلة أنّ: (ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب)، لأنّ الوسيلة في جوهرها الحُكمي واجب تبعي لواجب أصلي، وعمل متأخر لعمل متقدم من حيث التراتبية والقيمة الشرعية والآثار. وما" الوسائل الاّ أحكام شُرّعت لأنّ بها تحصيل أحكام أخرى، فهي غير مقصودة لذاتها بل لتحصيل غيرها على الوجه المطلوب الأكمل، إذ بدونها قد لا يحصل المقصود أو يحصل معرّضاً للاختلال والانحلال"[xiii] و" يدخل في الوسائل الأسباب المعرِّفات للأحكام والشروط وانتفاء الموانع، ويدخل فيها أيضاً ما يفيد معنى، كصيغ العقود وألفاظ الواقفين في كونها وسائل إلى تعرف مقاصدهم فيما عقدوه أو شرطوه.."[xiv].

المبحث الثاني

الفقه الثلاثي للوسائل

ممّا يجدر التنبيه إليه نكتان في قوله تعالى:(ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)١٢٥-النحل هما في غاية الجمال، ونراهما درساً بليغاً في الفقه الوسائلي، ونصحاً فهيماً في الأساليب النافعة، والكيفيات المفيدة لأسهل الطرق، وأينع السبل في تطبيق الأحكام، وتعريف المقاصد، واستلام نتائجها رصداً وحصداً وأجراً وخلوداً " الأولى: ورود الحكمة والموعظة معرفين بـ(أل) الاستغراقية، وهو ما يفيد استيعاب الكلمتين لكل أفرادهما من الوسائل النافعة، والأساليب المجدية والمجددة، لتحقيق المقصود الأحسن أو الحسن في مجال الدعوة ومضامينها ومؤسساتها وآلياتها. الثانية: ورود لفظ(جادلهم) منوطاً أو مقيداً بعبارة (بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وهو ما يلزم منه تمثل الوسائل الأحسن، وتحري الكيفيات الأفضل، وفي هذا من التقدير والاجتهاد ما لا يخفى،

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

كما أنّ هذا يفيد تقرير قاعدة اتباع الوسائل الأفضل بحسب ما هو ممكن، وهوما يقرر تعدد الوسائل الدعوية للمقاصد الدعوية من خلال هذا الارشاد القرآني الدعوي وغيره"[xv].

من الواجب العلمي والتخصصي أنْ نفهم العلاقة البينية، والصِلات الثنائية والتشاركية بين الوسائل والمقاصد، وبين الأسباب والغايات، وبين الأدوات والآمال، فهماً صحيحاً، و وعياً رصيناً، كي نستنير به ويُصفّى لنا من منطلق هذا الوعي الأبعاد، والزوايا، والأركان التي تحدد الخارطة، وتخطط الصورة المكمّلَة في علوّ الوسائل، وضرورة اكتسابها، وأهمية تربيتها، وفضل تنويعها، وفريضة تجديدها في المجالات الإنسانية والكونية والحضارية.

فبالوسائل نحطّم السدود، وبالغايات العليا والمقاصد الأسمى نصل إلى قمم الصمود، ومن ثمّ نَصل إلى الله سبحانه صاحب الحق والمطلق الوجود، ومن دلالات نوط المقاصد بوسائلها، والغايات بأسبابها في الأداء العام، والأداء الدعوي خاصة " الوعي بالبعد الوسائلي للدعوة ، أي: الوعي بأنّ هناك وسائل لا بد من اعتبارها وإعمالها في إقامة الدعوة، وأنّها شديدة الارتباط بمقاصدها، وأنّ القرآن الكريم قد قرر ذلك واعتبره حكماً قرآنياً واجب الفهم والعمل، فالوعي بهذا البعد الوسائلي ليس يراد به العلم ببعض الوسائل فقط، كوسيلة الموعظة الحسنة والحكمة، وإنّما يعني، وفضلاً عن ذلك الاهتمام بالفقه الثلاثي الآتي: "

١- الوعي بالوسائل في ارتباطها بالمقاصد، وهو ما يستوجب البحث في اختيار الوسائل المفضية إلى المقاصد، وليس اعتماد الوسائل بصورة سطحية وظاهرية، ودون البحث في جدواها وأيلولتها إلى مقاصدها، فوسيلة الحكمة وسيلة عظيمة، ومعانيها ثرية، و تفاصيلها كثيرة، وتحتاج إلى إعادة النظر في تنزيلها، وتجديد كيفيتها، وبحث تعلقاتها، ورسم متطلباتها التي تؤدي إلى كونها حكمة بمعناها الذي هو وضع الشيء موضعه المناسب له واللائق به.

٢- الوعي بشرعية نوط الوسائل بالمقاصد، أي: الوعي بكون هذا النوط حكماً شرعياً وقرآنياً لازم العلم والعمل، وأنه جدير بأن يعتبر من أحكام القرآن على غرار أحكام أخرى كحكم الصلاة والصيام والحج والعمرة، وأنّه حقيق بأن يكون مثل الوضوء ونتيجته، فكما أنّ المصلي يعي هذه الصلة في ارتباط الوسيلة بالمقصود، فالوضوء وسيلة للصلاة، والصلاة مقصد الوضوء ونتيجته، فكما أنّ المصلي يعي هذه الصلة في الوضوء والصلاة، عليه كذلك أنْ يعي أنّ الحكمة أو الموعظة الحسنة شديدة الصلة بمقاصد الدعوة وغاياتها، وأن الصلة بينهما إنما هي صلة وسيلة بمقصوده، وصلة مقدمة بنتيجة، والوعي بهذا المبدأ القرآني يُعد وعياً بحكمه القرآني، تبصراً وتدبراً وتمثلاً لمجموع آي القرآن، مبانيا ومعانيا، منطوقاً ومفهوماً.

٣- الوعي بأنّ الشارع يريد حصول هذا الوعي وإعماله في الواقع، بناء على مراد العلم بالقرآن والعمل به"[xvi].

ما قدّمه العلماء في السابق والحاضر من الخدمات العلمية، والوقفات الفكرية للتعريف بـ (الوسيلة) منطوقاً ومفهوماً، وفي صفحتي الاتفاق والاختلاف، لا تكفيان للوقوف مستسلماً أمام هيبتها، ونعتقد أنّها كافية، وأنّ رأسها في عنان السماء، ولا تصل إليها الأيدي، إذ نحسم لأنفسنا كأنّها وصلت إلى أقوى حالة مفهومية ومعروفية واستيعابية، تستغني عن

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

تحقيقات مستحدثة طرية مدلّلة، وتستنكف عن تحليلات مستجدة طازجة مقوّمة، فبينما نحن نؤمن بهذه النسبية والمحدودية والتقصيرية لما سبقت في فقه (الوسيلة) وإعمالها، فإنّها تَفرض على العلماء والباحثين للغوص أكثر، ولتحقيق أوفق، للخروج من سياج لفظة (الوسيلة) والسياحة في دواخلها، والسباحة في مضامينها، وتعداد جميع سياقاتها التوظيفية هادفاً الوقوف على كل معانيها، ومقاصدها، وطلعاتها التعريفية بنفسها، وبكينونتها المعانية المفتَرَقة.

المبحث الثالث

هل الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) استخدموا الوسائل المحرّمة؟

ما ينقصنا في حق (الوسائل) قلة مداخلتنا في أرضياتها ونوعياتها وتأثيراتها بعكس (المقاصد) المطروقة في شتى اتجاهاتها الفقهية والتأريخية والأثرية والتأسيسية، كما صرّحنا بذلك سابقاً، فإذا آمنّا وأبلغنا بأنْ لا وجود للمقصد أيّ مقصد، مبارك أو مدَنس، إلاّ بوسيلة أي وسيلة، ميمونة أو منكودة، فسنقبل القناعات الآتية عن طيب نفس، منها أنّ الوسيلة لها علاقة، وفيها رابطة موصولة بينها وبين التوحيد الإلهي، مثلاً عند قولنا: أنّ صحة التوكل على الله سبحانه والاعتماد عليه مرهون بالأخذ بـ(الأسباب= الوسائل)، وهذا تؤيده النصوص وتُناصره العقول، ففي استحمال الوسيلة، وجعلها جالبة للمقصد مَلمَس إيماني، ومَحضَر عَقدي قد لا يصل إلى مستوى الغاية التي هي الإيمان أو الأصول الإيمانية، لكن لا يدخل الإيمان ولا ينزل التوحيد إلى القلوب إلاّ إذا كان للوسيلة استجابة وموافقة وتلبية وتفاهم لمخاضه وحطّه ووضعه موضعه.

وما يقوّي هذا الرأي إلى درجة مقنِعة أكثر ممّا قلت أنّ الأخذ بالوسائل في الإيمانيات أو الفقهيات أو الأخلاقيات أو غيرها من الأمور العامة والخاصة هو من أوامر الله ونواهيه، فالله سبحانه يأمر باستخدام الحلال من الوسائل الكثة والغفيرة، وينهى الاستعانة والاستغاثة بالمحرّم منها وهن القليلات اليسيرات، فهذه الأوامر والنواهي من صلب العقيدة، وصميم الإيمان، ولُباب التوحيد، إذَن كيف يفترقان ويتفاصلان ويتنازعان؟!.

سؤال يحثني لأقول: بما أنّ الوسائل تَنقسم إلى الجميلة المليحة في جانب، والقبيحة الكريهة في الجانب المقابل، وأنها في المرتبة الثانية من حيث القيمة الشرعية، وأنّ حدودها الوجودية وحكمها بالإباحة والجواز في العمل المقاصدي والدعوي والتجديدي والإصلاحي أوسع بساطاً، وأعمق مرونة، وأسهلها في القبض وشدّ الوثاق!، وسؤالي متعدد التعبير والتشكيل: ما هو موقع الانبياء -عليهم السلام- في استخدام الوسائل، وهل كانوا بحاجة ماسّة إلى الوسائل المادية مثلاً أو المعنوية لتغيير أوضاع الإنسان من القُبح إلى الحُسن، ومن الرداءة إلى الرصانة، ومن الجَور إلى العَدل، ومن العيش والموت في سبيل الطاغوت إلى العيش والموت في سبيل الله؟، فهم كانوا أصحاب المعجزات والخوارق التي يعجز البشر من غيرهم أنْ يأتي بمثلها، فَلِم الوسائل والأسباب التي يحتاجها كلّ البشر في جميع حالات حياتهم دون استثناء؟، أين الفرق بين الأنبياء وغير الأنبياء؟، هل يُمكن للأنبياء أن يستخدموا وسيلة غير شرعية مثلاً ؟، لماذا نسأل عن الوسائل ولا نسأل

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

عن المقاصد؟ فالوسائل لها نفس الحكم إن كان بالحلال أو الحرام، ونفس الاعتقاد، ونفس الموقف من قبل الأنبياء، لكن للوسائل الشرعية تفصيلات وتحميلات ومسؤوليات ومآلات تختلف قليلاً عن تفصيلات وتحميلات ومسؤوليات ومآلات المقاصد الشرعية. من الأليق أنْ أسأل عن جوهر الموضوع بصيغة تالية أجدها أصدق وأصوب تعبيراً عمّا في نفسي وروعي، وهو: هل الأنبياء استخدموا وسيلة –رغم مشروعيتها- في مكان غير مكانها، أو زمان غير زمانها، أو أشخاص غير أشخاصها، أو واقع غير واقعها؟، وحصل على أساسها تجميد العمل بها، وتوقيف الرسل= الرسول (عليهم الصلاة والسلام) في مكانه وموقعه دون منحه الموافقة الإلهية للمشي وراء قصده، وخلف غايته، ورِدْف مشيئته ؟!.

سأفصّل في الردود والجواب وأقول: إنّ الأنبياء (عليهم السلام) استخدموا الوسائل واتخذوا الوسائط، ودَعوا أتباعهم وأمّتهم إلى إعمالها والاعتماد عليها، ونَصحوهم بأنّ استحقار الأسباب والاستخفاف بها مخالف لسنن الله في شرعه، ومناقض لسنن الله في كونه!، وما المعجزات والخوارق والهِجْرات والبيانات والجهاد بالسيف والنبل والدعوة السرية والعلنية والفردية والجماهيرية واللين والشدّة والصفح والصبر والدعاء و...الخ إلاّ أدوات ووسائل مادية ومعنوية مطلوبة، أقامها وأنارها وأدامها الأنبياء والرسل جميعاً (عليهم الصلاة والسلام). وهم كانوا بحاجة إلى الوسيلة والأداة ولم يكن كل (أعمالهم) ولا كل (أخبارهم) مبنية على المعجزات والخوارق، وكان أوامر الله في تنفيذها الإنساني، وفي تأثيرها على الإنسان، وفي إسعادها للإنسان مبنية ومَحمية بعدد من الأسباب، وبِكَم كبير من الوسائط، بل جعل الله استعمال الوسائل مثل الصدقة بالمال واستخدام الحديد في الحرب وتكوين الجماعة وادارة المجتمع وأمثلة أخرى لا حصر لها جزءاً مكمّلاً من التدّين، وقسماً حاسماً ومتمّماً للعبادة للإتيان بالمكتسبات البشرية، ولَن تستطيع أن تأتي بشيء من العدم البتة، ولن تقدر على أن تحصل على أي مكسب أو مشروع أو نصر أو سلطة إلاّ عن طريق الوسائل المتاحة، والأيدي العاملة الناعمة أو الباطشة. لم نجد فرقاً بين الأنبياء وغيرهم في اتخاذ الوسائل وتجربتها، تقليباً للسيئات وإماتة لها، وتصعيداً للحسنات وإحياء لها، سوى أنّهم بأمر الله المباشر ودون إفراط ولا تفريط قادوا الغزوة، وساسوا الأمة، وأمَّوا الجماعة، وتحمّلوا الضُرّ والضَنْك والإملاق والحرمان ليكونوا أولَ مَن يحمل الأمانة، ويحفظوا الوديعة الإلهية، ثم أتى مَن بعدهم فمنهم المتمسّكون بسنتهم، ومنهم مَن ترك طريقتهم، وتربّع على أريكته ينتظر أنْ يغيّر له الله كل شيء مقابل توكله عليه ودعائه وصرخاته. لا زلتُ ممن يؤمن بإعلان الأسئلة من أي جنس كانت وتفريغ النفس مما يحتل جزءاً صغيراً أو كبيراً من العقل والقلب الذي يجرّ صاحبه إلى الهلاك والإهلاك، حتى ولو كانت الأسئلة غير مصوغة بصياغات لائقة مؤدبة!، لأن بقاء السؤال في رَوع الإنسان دون ذكره وعرضه على العلماء في العلوم العقلية والنقلية، سواء كان سؤالاً مجرداً، أو شكاً بسيطاً، أو حتى انحرافاً ذا هَوَجٍ وطَيْش، (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ، قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)١١٢-سورة المائدة.

لكن نظراً لطرحها وتكرارها في المجالس، وتسويقها في الندوات، وتطبيعها في الدورات والمؤتمرات والمجتمعات، بدافع الحقد والتشكيك في دين الله سبحانه، وبِنيّة تقزيم وتضعيف الجماعات المؤمنة، وبثّ الفرقة بين المجتمع المسلم،

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

تمهيداً لاحتلال العقول والحقول!، من قبل أفراد وجماعات غير مؤمنة بالأنبياء ورسالاتهم وعصمتهم وصدقهم وصوابهم، ويحدث أن يتلقفه الجهال، والمغفلون، والمنافقون، ومجموعات قشورية في الفهم، وحلقات مجتمعية تافهة صبيانية في الإدارة والأخلاق من أبناء المسلمين، ثمّ يُديرونها فيما بينهم ويُدافعون عنها، يُدافعون ليس عن مطلق الأسئلة التي من الواجب أن يُقبل ويُجاب عنها، مادام هناك صاحب عقل يريد أن يفهم شيئاً يجهله، ولا يعرف عن أصوله وفروعه وفنونه وفتنه، بل بدافع الضغينة من الإسلام وأهله، لذلك كلّ الأسئلة ينبغي أن يُجاب ويُقدم لها رداً جميلاً ، (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ..) ٦٣-سورة الأحزاب، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ..)٢١٧-سورة البقرة، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) ٢١٩-سورة البقرة، (يَسْأَلُونَكَ مَاذا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ..) ٢١٥-سورة البقرة. أمّا مَن أراد تعضيد الكفر والشرك باحتجاجاته، وتوهين الإيمان والتوحيد باستشكالاته، وكان عاقبته الإدمان على الجحود والعناد، والاستمرار على التجاهل والتكبر، فلا يكسب شيئاً غير اللعن والصاعقة من العذاب المبين في الدنيا أو الآخرة (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ..)١٥٣-النساء.

إنّ الأنبياء (عليهم السلام) حملوا راية أخلاقية سامية في قمة درجاتها، وزرعوا جذوراً إيمانية إلهية شامخة تربّع على رأس جميع النماذج الإنسانية، ونثروا العناصر والمؤسسات والأساسيات لتقوى الله ومخافته ومراقبته، والأمل في رحمته وغفرانه، والفوز بمحبته، والإسعاد بجنانه، والنجاة من جهنمه، وهم كانوا خير فوارس، وأفضل ممثلين، وأجمل وأنقى موقعين عن الله سبحانه فيما أمر به وفيما نهى عنه، وعند الإيمان بهذه النتائج من المستحيل أن تحصل على العبثية في مقصدهم ومنهجهم لا في الماضي، ولا الآن ولا في الغد، لأنّه بكلّ بساطة وجود العبث، أو جزء يسير من اللهو، أو إيجاد ذرة صغيرة من اللعب في أحكامهم أو سلوكهم، أو أدواتهم التغييرية، أو وسائلهم التربوية والدعوية والتعليمية والتنظيمية، أو صياغاتهم التعبيرية في البلاغ المبين، أو تعاملهم مع عباد الله ومخلوقات الله سيكون دليلاً على العبثية في حكم الله المبارك، وحجة على الهزلية في أخلاقياته المقدّسة (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)١٥٧-سورة الأعراف.

لِمَ سألتُ عن الوسيلة واحتمالية استعمال الأنبياء لوسيلة هي مشروعة في ذاتها لكنّها غير مشروعة في غير أوانها، ولِمَ لَم أسأل عن المقصد؟، لأنّ الغايات والمقاصد وحتمية الإيمان بها، والعمل في سبيلها لدى الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) هي في أعلى مستوياتها، وأرفع درجاتها، ومن هذا المدخل العُلوي المطِل على الإنسان، أيّ إنسان لا يجوز أن نشكّك فيهم قطعاً، ولا أن نستريب فيهم، فالشّك في صدقهم، والتوهم في عصمتهم مخالف لدين الله، ومناقض للإيمان بالله، ومروق لعباد الله من حدود الله وحصنه وحماه قال تعالى: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا، انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا، تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا، بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) ٧-١١سورة الفرقان.

إذا كان الشّك، فقط الشّك في عصمة الأنبياء وطهرهم عند اختيارهم الوسائل للوصول إلى الغايات مناقضاً لإيمان الشخص ، و مجافياً لإسلام المرء، فكيف بمن يؤمن ويحتج بحجج واهية مهلهلة على وجودية منهج القبول والرضى والتسليم بالوسائل كلها لدى الرسل (عليهم الصلاة والسلام)دون فصل بين الحسنة منها أو السيئة من أجل الوصول إلى المقاصد، والقبض على المصالح، والانقضاض على المنافع؟!، فعصمة الأنبياء في استدعاء الوسائل كانت حاضرة وماثلة وحاكمة عليهم حتى في الظروف الحالكة، والأيام العصيبة، واللحظات المصيرية، والمواقف الهالكة، و أنّهم كانوا في الوقائع الأليمة والقاسية والمزلزلة لم تُطل أيديهم إلى وسيلة محرّمة، ولا إلى أساليب مجرَّمة، ولا إلى أسباب مقزَّزة ومُهَشّمَة قال تعالى:(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)٢١٤- سورة البقرة.

من باب (الاستفصال) وبيان (المتشابه) والحكم المختار على (المنطقة الرمادية=استخدام وسيلة في غير محلها) بين مشروعية الوسائل في ذاتها، وبَين شرعية استخدامها في آجالها الخاصة بها أو (خارج آجالها وأزمانها) الذي أتناولها الآن، أذّكِر بسؤالي الجوهري ضمن الأسئلة التراكمية الآنفة وهو: هل الأنبياء استخدموا وسيلة (رغم مشروعيتها) في مكان غير مكانها، أو زمان غير زمانها، أو شخوص غير شخوصها، أو واقع غير واقعها، وحصل على أساسها تجميد العمل بها وتوقيف الرسل= الرسول (عليهم الصلاة والسلام) في مكانه وموقعه دون منحه الموافقة الإلهية للمشي وراء قصده، وخلف غايته، ورِدْف مشيئته؟!. قد يكون هذا السؤال (وسائل شرعية مستخدمة خارج محلاتها وأمكنتها من طرف الأنبياء) وبهذه الصيغة السالفة جديداً على بعض القرّاء والباحثين في المقاصد، وقد لا يكون الإتيان بالسؤال المستجد مهماً وجديداً عند غيرهم، وهذا من حقهم إذا رأوا هو كما هو، لكن أتوقع أنّ الجواب على السؤال ونوعيته يُعطي أهمية كبيرة لرفع درجة التساؤل، وإعلاء سعره، وإعطاء جرعة مشجعة للبحث عن أجوبة أقوى أدلة بين الناس وبين المنكرين لجدّته وحداثته وادعاء عدم ضرورته.

للجواب على السؤال لا بد أن نفرّق بين ما هي الوسيلة وماهي نقيضها، ليس من ناحية التعريف لها، وإنما من ناحية التعريف بشخوص الوسائل وأفرادها وأسماءها وأمثلتها، ضماناً لعدم الاختلاط بينها وبين المقاصد، وهناك تارة تشابه شكلي، وتماثل ظاهري، وتشارك حقيقي تارة أخرى بين أفراد المقصد والوسيلة، لذا قد يحدث أن يُحسب فرد مقصدي على أنّه وسيلة، أو تُحسب وسيلة على أنها مقصد!، وبالتأكيد هناك تداخل كبير بين المقصد والوسيلة من حيثيات عدة، منها أنّ الذي يعتبر عندك وسيلة قد يكون فيها عِرقاً دسّاساً من المقصد، وأن الذي تعتقد فيه أنه مقصد من المقاصد قد يكون في طينته لمسة رقيقة وسائلية، فاتجاه نظر الناظر، وزاوية تأمل المتأمّل إلى الفرد والعضو من المقاصد أو

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

الوسائل يحدد قبلة كل واحد منهما ويُحرّر محل النزاع فيهما ويُرجّح، أهو قبلته وتقلب وجهه إلى الوسيلة أم إلى المقصد؟، فبالتبيين والمقارنة ومعرفة المميزات وإبعاد المشتركات وإغلاق التداخلات تُصفّى وتُمحَّص لنا أعضاء المقاصد من أعضاء الوسائل وهكذا العكس.

وإنّ النبي يونس(عليه السلام) هَجَر قومَه، وفارقهم يأساً منهم لجحودهم وعنادهم، لذلك تركهم لأجَلهم المحتوم ، وأبقاهم لمصيرهم المعلوم إنْ بقوا على كفرهم، فهذا النبي الكريم (عليه السلام)اتّخذَ من الهَجْر والترك والتولي وسيلة وسبباً وأداة اجتهاداً منه وظناً، فهل هذا الاتخاذ والاتجاه لوسيلة استبعاد النفس عن قومه كان في وقتها وظرفها أم لا؟، الصحيح أنّه لا، لم يكن هذه الوسيلة -رغم مشروعيتها في ظروفها الخاصة- مناسبة واستجابة اجتهادية مصيبة، ربما لأن الاستعجال لحصاد الدعوة واستسلام الناس لدين الله سبحانه وركون قومه إلى دركات الكفر جعله يتعجّل في هَجرهم!، لذلك زجره الله سبحانه بابتلاعه اياه من الحوت والمكوث في بطنه إلى أن أفرج الله عنه بعد إنابته وأوبته واعترافه بالظلم!، وهذا العتاب أو الزجر الإلهي يُبيّن أن استعمال الوسيلة حتى الوسيلة المشروعة في غير أوانها يُعرّض العبد للمحاسبة والعقوبة، فكيف بمن خالف مقصِداً من مقاصد الشرع للحكيم العليم؟. قال تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) ٨٧-٨٨ سورة الأنبياء. ومَن أراد تفسيراً لفراق النبي يونس(عليه السلام) عن قومه فله أن يتفّقه بالعودة إلى كتاب التحرير والتنوير الذي يقول: " أَنَّ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا صَدَرَتْ مِنْهُ فَلْتَةُ الْمُغَاضَبَةِ كَانَ قَدْ خَلَطَ فِي دَعْوَتِهِ شَيْئًا مِنْ حَظِّ النَّفْسِ وَإِنْ كَانَ لِفَائِدَةِ الدِّينِ.."[xvii] ويقول أن" قَوْلَهُ تَعَالَى: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ يَقْتَضِي أَنَّهُ خَرَجَ خُرُوجًا غَيْرَ مَأْذُونٍ لَهُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ.."[xviii] ويؤمن بأنّ النبي يونس (عليه السلام)كان يرى " أَنَّهُ إذا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ سَقَطَ تَعَلُّقُ تَكْلِيفِ التَّبْلِيغِ عَنْهُ اجتهادا مِنْهُ، فَعُوتِبَ بِمَا حَلَّ بِهِ إِذْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْلِمَ رَبَّهُ عَمَّا يُرِيدُ فِعْلَهُ "[xix].

خطابات التصوير القرآني أو العلمائي لحالة النبي المرسل يونس (عليه السلام)في إطار أحاديث من قبيل (الخروج) أو (المغاضبة) أو (الهَجر) متساوية في أنّ يونس (عليه السلام) أخذ بوسيلة من الوسائل باجتهاده ولَم يكن موفّقاً، لكونه غير مأذون أصلاً بالرحيل والانشقاق عن قومه، ولِكَون الوسيلة-وإنْ كانت شرعية في بعض الأوقات-غير مواتية وقتها ولَم يأت مرحلتها، فَعتاب الله سبحانه على النبي المرسل يونس لم يكن لرداءة عين الوسيلة الخروجية أو الهَجْرية-التي هي مسموحة في أوقاتها-بل لعدم موافقة الوقت والفصل الذي طبقه فيها النبي يونس(عليه السلام)، (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)١٤٢ –سورة ١٤٤الصافات، (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ) ٤٨-٤٩ سورة القلم.

الفرق الحاجز والتمييز المفصلي بين (وسيلة الهَجر) والفراق عند النبي المرسل يونس و(وسيلة الهجرة) عند النبي المرسل محمد (صلى الله عليه وسلم) هو في وقت التنفيذ وزمن التنزيل ليس إلاّ، فالهَجر والهجرة ممنوحة ومحمودة ومطلوبة

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

شرعاً وواقعاً وعقلاً، لكنّ محمداً كان مأذوناً ومأموراً بها من ربه سبحانه في لحظة تأريخية ومصيرية محددة، أما يونس لم يكن مأموراً بها ولا مأذوناً فيها في اللحظة التي اختارها هو وعمل بها باجتهاده دون استشارة المرسِل سبحانه!. والله اعلم.

وبناء على تلك (المبادئ المقدماتية) لفهم قضية الوسائل والخيارات الزمانية والمكانية والإنسانية لاستخدامها، أو التوقّف فيها لحين قدوم أوقاتها وإقبال فصولها أرى بأنّ عفو النبي (صلى الله عليه وسلم)عن أسرى المشركين في بدر[xx] وإطلاق سراحهم اجتهاداً منه، وإذنه للمنافقين للانصراف وعدم مشاركتهم الجهاد في غزوة تبوك[xxi]، والتعبيس في وجه الصحابي عبدالله ابن أم مكتوم[xxii](رضي الله عنه) عند نصحه ودعوته لرؤوس قريش وصناديدهم تدخل ضمن استقبال الوسائل واستدعاء الأسباب في غير مساقطها وأزمنتها، وخارجاً عن المحلات المناسبة لها، مع اليقين بأنّ غايات ومقاصد الرسول(صلى الله عليه وسلم) كلها طاهرة وصادقة ومعصومة وبريئة، لكن وسائل (العفو) و(الإذن) و(العبس) المعمول بها لم تكن واقعة وماطرة في أحيانها الخاصة بها، فالعفو مطلوب في حينه، والإذن مسموح لأصحابه، والتعبيس محمود لأجل الدعوة، لذلك وقع اللوم من الله (جلّ جلاله)على رسوله (صلى الله عليه وسلم) تارة بتلطف كبير، وتارة بشيء من الشدة والتحذير!، ما يعني:

أولاً: أنّ للوسائل أوقاتها الموسّعةَ والمضيّقة ويجب الالتزام بها كما للصلاة والصيام، والحج والعمرة أوقاتها، وكذا الاعتكاف والتكليف والوصية والرهن ومسائل أخرى لا تُعدّ ولا تُعرف!. وما يعني ثانية: أنّ الوسائل رغم ترتيبها الثاني بعد المقاصد وفقرها وذِلتها أمامها، فإنّ اللوم والمحاسبة والعقاب سيَطال المقصّرين والمتثاقلين، والذين لا يرعون ولا يتحسسون الوقت والزمن المناسب لإنزالها، والدعوة بها، والتغيير على أساسها. وما يعني ثالثة: أنّ الوسائل منها طاهرة وجليلة، ومنها خبيثة وسافلة، فالثانية لا نحتاجها ولا نقترب منها، ولو كانت النوايا والطوايا نقية وعفيفة، فالنية لا تُغيّر من قيمة الأشياء والوسائل إنْ لم تكن قدّيسة في وضعها وحقيقتها. والوسائل النزيهة تدور حيث ما دارت صاحبتها من المقاصد النزيهة وحاوياتها الزمانية والمكانية.

المبحث الرابع

في سبيل استنفار الوسائل واستدراكها

تحت عنوان معقولية الوسائل الدعوية من المهم أن نعلم أنّ" المراد بالوسائل والكيفيات الاجتهادية والطرائق المتغيرة المعتمدة في الدعوة، التي تتحدد بناء على أحوال الدعوة وحاجة الناس ومقامات السياق[xxiii] بموجب العدل والسماحة، فهذه الوسائل تقوم على المعقول المعنوي، والتعليل المصلحي، والاجتهاد المقاصدي، وتكون الوسائلُ مقدرة على وجه التعبّد، إذا تعلق الأمر بما هو في الحكم التعبدي من حيث الشكل وزمان ومكان التطبيق، على غرار الجمعة والعيدين،

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

ففي هذا الأمر تثبت الوسائل على ما هي عليه تقديراً وضبطاً من الشرع، وتتغير بتغير الزمن والمكان فيما هو موضع تقديره"[xxiv][xxv].

عَبْر ذاك التديّن الفريد والتعبّد الفذّ في اختياراتهم الدعوية اختار الأنبياء(عليهم الصلاة والسلام) أفضل الوسائل، وتَمثّرسُوا وراء أعلى المقاصد، فجمعوا بين أعلى المقاصد وأفضل الوسائل وعجّنوا الاثنتين بأنبل الأخلاق وأكملها، وحققوا بها أروع النتائج وأرجاها. والقاعدة الوسائلية المقاصدية تقول:" كلّما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص منها"[xxvi].و"التوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه، والتوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته، والتوسل بالسعي إلى الجهاد أفضل من التوسل إلى الجمعات، والتوسل بالسعي إلى الجمعات أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات، والتوسل بالسعي إلى الصلوات المكتوبات أفضل من التوسل بالسعي إلى المندوبات التي شرعت فيها الجماعات كالعيدين والكسوفين" [xxvii].وعليه" فإن تبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل لأدائه إلى جلب كلّ صلاح دعت إليه الرسل وإلى درء كلّ فاسد زجرت عنه الرسل"[xxviii].و"الإنذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والعصيان، والتبشير وسيلة إلى جلب مصالح الطاعة والإيمان، وكذلك المدح والذّم، وكذلك الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل المأمور به في باب المصالح، فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف، وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل، والأمر بإماطة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف"[xxix] .

في سبيل الاستنفار وتجنيداً لجميع المفاهيم، والطاقات الاستدراكية، والجهود القانونية المنظِمة للحياة وما فيها، والإنسان وما يقوله وما يفعله، وما يتصوره وما يُصدّقه، وما يستخدمه من الوسائل وما يتركه، وما لا يُعجبه من الأسباب، ومن أجل أنْ نهض ببناء معايير وترتيبات تدعونا وتقبل انضمامنا إلى الكليات الشاملة، والأصول العامة، وتتركنا حراً طليقاً في الجزئيات، لا بدّ أنْ ننضم نحن ونعلن تسليمنا للقواعد الشرعية، والتكتلات النصية الجامعة المجمَلة، والعناصر الأساسية المشبّعة والمعبئة بالمعاني والأحكام والاتخاذات الشرعية والاجتهادية، التي تأتينا من خلالها وتستهدينا إلى قواعد وسائلية معيارية لا مجال لأنْ نَحيد عنها، منها قاعدة: "الوسيلة إلى أفضل المقاصد أفضل من سائر الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد أرذل من سائر الوسائل "[xxx] وقاعدة: " كُلّما قويت الوسيلة في الأداء إلى المفسدة كان إثمها أعظمُ من إثم ما نقص عنها"[xxxi]. ومنها: " كُلّما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، وكُلّما قويت الوسيلة في الأداء إلى المفسدة كان اثمها أعظم من اثم ما نقص عنها"[xxxii] وقال الإمام العز بن عبدالسلام جمعاً وتكميلاً للقواعد السابقة: " للوسائل أحكام المقاصد، وأجور المقاصد وأوزارها أعظم من أجور الوسائل وأوزارها، فكلّ مقصود أفضل من وسيلته، وقد تكون بعض الوسائل أفضلَ من مقصود وسيلة أخرى"[xxxiii].

الوسائل من ناحية القيمة مقسّمة بين الأفضل والأرذل، وبينهما درجات وبعدهما دركات، والآثام المتفجرة منهما مجزّئة ما بين الإثم الأعظم والإثم الأصغر، وبينهما أنماط مختلفة من الفجور والفسوق، كما أنّ للوسائل السليمة الخيّرة آثارها

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

السليمة والخيّرة بين أعظمها وأدناها، والمقاصد في كلّ الأحوال قائمة مقام الأخت الكبيرة في الفضل والتوجيه والمكانة، أما الوسائل فتأتي خلفها في الشجرة الأختية والرُتَبية، وأجور وأوزار المقاصد ذاتية تنبع من نفسها دون أن تحتاج إلى ميزان نزن بها ثقلها أو خفّتها، المقاصد الحسنة حسنة طول الزمان، والمقاصد السيئة سيئة طول الزمان ، أما من الجهة التطبيقية الزمانية للمقاصد وإنزالها ربما اليوم أفضل لها، وربما الغد، فيجب العثور على يومها وظروفها لعرضها، والمقاصد تحمل في صفحاتها وَصْفات جاهزة تُعبّر عن طهرها وخبثها ، وصلاحها وفسادها، وتسمع منها مباشرة أخبارها عن نفسها بالحلّية أو التحريمية، أمّا الوسائل فلها واقع آخر فهي موزونة لا وازنة، وموجَهة لا موجِهة، ومحكومة لا حاكمة، وتابعة لا متبوعة ولا مستقلة تستطيع أن تحكم نفسها، وقد تجد أنّ الوسيلة جائزة لكن لا سلطة لها في تحليل المقصد إن لم يكن المقصد مقصوداً من جهة شريعة الله سبحانه، وقد تجد الوسيلة محرّمة، والمحرّمة أولى بالعجز في تحليل مقصد محرَّم، أو تحريم مقصد محلّل، لأن الوسيلة تحكم على نفسها بالإبطال والإحلال، لكن لا قوة ممكِّنة لها تؤهلها للحكم على المقاصد. المقاصد لها المرجعية الكاملة في الحكم على نفسها، وعلى الوسائل جميعها، كما لها السلطة على الأحكام والأخلاق والأعمال والأقوال والمواقف والنشاطات في تحريمها أو تحليلها، كذلك لها الشرعية في تحديد زمان تطبيقها وأوان تنزيلها.

المبحث الخامس

وسائل دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم

لستُ بحاجة إلى كلام أكثر ممّا قلت في (الوسائل المنهجية) و(المنهج الوسائلي) الذي تبعه الأنبياء (عليهم السلام)، لذلك أتى الوقت الذي يستوجب أنْ أنظر إلى سيّدنا موسى (عليه السلام) في منهجه، وطريقته، وفي جهوده، واختياراته في كسب الوسائل، واللِّحاق بها إلى المقاصد ثمّ البلوغ إلى المآلات، في أول وهلة من إنزال الوحي الإلهي عليه سلّحه الله سبحانه بوسيلتين وأداتين عملاقتين كانتا في مستوى التحديات والمواجهات التي تنتظر دعوته لفرعون وملئه وسَحَرته، والوسيلتان هما: معجزتي العصا واليد كما في قوله تعالى: (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ، اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) ٣١-٣٢ سورة القصص.

كأنّ الوسيلتين المأمورتين بهما في دعوة موسى (عليه السلام) مفردتان ركنيتان عارمتان من مفردات التدين والتغيّر، وجزءان رئيسيان من أجزاء كيان الصحوة الشعورية، والصيحة الضميرية، فلا قيام لها ولا إقامة إلاّ بهما.

الوسيلة يُمكن أن تكون في صورة (أفكار) تتمخض عن المعاناة الفكرية والنفسية لإنسان لوحده، ويجوز أنْ تكون أدواراً وأعمالاً يقوم بها إنسان آخر في خَلوته أو خلطته، ويحصل أن تكون (أشياء) يصنعها إنسان بالتعاون مع أخيه وحليفه ونصيره، فالوسيلة في مجملها منها الهية المصدر والمقفل كالمعجزات والكرامات والخوارق من السلوك والعادات، ومنها إنسانية المصدر والمنشط كالبيان والسنان والتخطيط والتحديث والتفعيل والهجرة والمفاصلة والمنازلة.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

بالنظر إلى آيات الله سبحانه في سورة (طه)المتحدثة عن دعوة موسى(عليه السلام) ووسائلها في الحرية والتحرير والإيقاظ والاصلاح والبناء والتمكين والاستقامة، نظرة المتأمل، المتعمق، المستكشف للصور الراقية في وجوه الآيات وأجوائها، وللفنون العالية في تنظيراتها وإشاراتها، ولصناعاتها المتينة في تجويد الأفهام، وتجديد وعي الأنام، وتجريف الجهل والانغلاق والانهزام، ستلقى حديقة مزهرة، وعالماً مأهولاً بـ(أسرار الوسائل) وأنواعها في سبيل البيان والإيمان والإحسان والدعوة وتكريم الإنسان قال تعالى:(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) ١٧-١٨سورة طه، خذ بزمام كلمات (عصاي) و(أَتَوَكَّأُ) و(أَهُشُّ) و(مَآرِبُ) بقوة، واقلب صفحاتها، وافتح طواياها ستجد منبعاً لـ(استنباط الوسائل) و(استخراج الأسباب) وقيمتها وضرورتها ومنافعها لتقرَّ أعين الجميع، وأفئدة الجماعة، وقلوب الأمة بمقاصد الشريعة العليا والدنيا والوسطى، والقريب والبعيد، والكبير والصغير، والآنية والمستقبلية، والمادية والمعنوية، والأصلية والتبعية، والدنيوية والأخروية.

من الحقيقة أنّ الوسائل أمهات للمقاصد، ورَحِم للغايات، وسبل للأهداف فلا مخارج لها إلى الوجود، ولا مساقط لها إلى الدنيا، ولا مهابط لها إلى الأرض الاّ من طريق وسائلها وأسبابها، حتى المعجزات تحتاج إلى حفنة من الماديات، وقبضة من الترابيات، وصاع من الطينيات كي يتمكن الإنسان من رؤيتها ورؤية آثارها، والتذوق من رجرجتها أو هدأتها، والتعامل معها، فالاندهاش بها، ثم الإيمان بها، فمعجزة موسى(عليه السلام) في خلق الجان والثعبان والحية ولّدت من العصا وهي وسيلة معروفة، ومعجزة النور والبياض جاءت من اليد والجناح وهما مما يمتلكه كل إنسان، ومعجزة الغَرَق لفرعون وجنوده لم يحدُث إلاّ في وسط البحر، والبحر مَيْسور لكل مَن أراد تسخيره بكل اتجاه نحو الإعمار للأرض، وتشييد للإنسان، وإبعاد الماء ومنابعه من الفساد والإفساد والتلوث والاحتكار والاستغلال الغادر والاستئثار وهكذا.

قبل العَود إلى بطون الكلمات القرآنية المذكورة وما في مستواها، والسياحة فيها لصيد اللآلئ المعبِّرة عن الوسائل والوسائط، من المنطق أن نقرَّ بأن مبدأ السؤال (السؤال من حيث هو سؤال بمطلقه) أو الاستفسار والاستيضاح في ذاته، وفي جوهره، وجلده، والتقصي وراء الإجابات والفعاليات والتوصيات وسيلة موثَّقة وموثوقة وموفَّقة من وسائل التثبيت، وطريقاً فسيحاً وفاتحاً للقصود المثلثة من (طمأنة القلوب) و(أسلمة العقول) و(أنسنة السلوك) و" الْقَصد مِنْ ذَلك السؤال: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)١٧-سورة طه، زيادةُ اطْمِئْنان قَلبهِ بأَنَّهُ فِي مَقام الِاصْطفاءِ، وَأَنَّ الْكلام الَّذي سَمِعهُ كلام مِنْ قِبلِ اللَّهِ بِدونِ واسطَةِ متَكلمٍ مُعْتَاد وَلَا فِي صُورةِ الْمعْتادِ)[xxxiv]. فبالعصى الوسيلة الواحدة المتوفرة لدى موسى(عليه السلام) أدار سياسة المواشي، و ادارة الأليفات، وبها يُسقِط أوراق الأشجار والألياف لتربية الحيوانات، وتغذية الدّواجن، وبها يحفظ الراعي الحامي نفسه وبهائمه من المفترسات والجوارح، وفي جعبة العصى منافع ومآرب أخرى. لاحظوا تقاسيم الوسيلة (الدلالية) وتفاريعها (المفهومية) في العصى وما في نظيراتها من الوسائل ودلالتها المستنبطة ومفاهيمها المستخرجة. هل لاحظت الوسيلة الواحدة مثل العصى تسهّل الصعاب، وتُخفف الثقال للوصول إلى مقاصد السياسة والإسقاط والإدارة والحماية للمواشي الداجنة وغيرها ؟.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

انظر إلى تفاهة وقَزَمية العصى الحَجْمية، كوسيلة بدائية، وتأمّل في عظم منفعتها، منفعة (مادية مقبوضة) مؤقتة أوْ دائمة، ومنفعة(دلالية برهانية مفتوحة) لتخصيص الإبداع والاجتهاد في تفسيح الوسائل وتكثيرها والمسامحة في استخدامها إلاّ ما حرّمته الشريعة وسدّ بابها ومنعت نشاطها، ومن الإشارات المتلوة المستنبطة في استخدام العصى أنّ إدارة الحيوانات لا تُدار إلاّ (بوسيلة القوة) و(قوة الوسيلة) ولو بأحقر مصنوع إنساني كالعصى، كما أنّ المعجزات على العموم، أو معجزة موسى المتلقف لأعمال سَحَرة فرعون على الخصوص كان متسمةً بالقوة الباطشة. فالقوة ليست في كثرة أو سَعة الوسيلة فقط، بل في كيفية استخدامها، وفي نوعية الإرادة التي تتحكم بها لحظة الضرب بها واستجابته التحدي على أساسها، وقوة المقاصد التي تتحرّاها الوسيلة وتتوخاها. وفيها إشارة متلوة غير التي قلنا، وتُفيد بأن المجتمع الإنساني أو المجتمع الإسلامي يُدار بجرعة من وسيلة القوة الضاربة حيناً، وبوسيلة القوة الناعمة المنظِمة أحياناً أخرى. ونتّعظ من هذا الكلام بأنّ الوسيلة لها تقسيم جديد من حيث القوة وضعفها، وهي وسيلة (قوية إقصائية إفصالية)، ووسيلة (قوية استجلابية واستجماعية) ناعمة ومُنظِّمة قال تعالى:.(قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، هارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً، وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً) ٢٥-٣٤ سورة طه،

ما تعلّمته من الدروس في معرض التعارف على بعض المفردات الوسائطية، والتعارف على بعض المبادئ لمعيار (الوسائل -الوسائط) ليست نهائية، فوجودنا في بداية الطريق يفرض السَيْر مع القافلة هَوناً للاطلاع على مبادئ أخرى ملثّمة ومستورة، ويجبرنا على التفقه بشكل أكثف على مقابلة ومعارفة (الوسائل-الوسائط) غير اللاتي أوردناها أو استنبطناها على ضوء هداية الآيات القرآنية.أهمية وأحسنية وأنيقية(الوسائل-الوسائط) تتواصل وتطير بشكل عمودي وأفقي، فعندما أقرأ آيات الله سبحانه تُخبرنا أنّ النبي موسى (عليه السلام) قد تضرَّع إلى الله، وتوسَّل إليه، واستعطفه كي يبارك له، ويمنّ عليه، ويسهّل لأجله، ويرزقه الوسائل والوسائط والأدوات، وبهذه الدعوات النبوية لموسى(عليه السلام) نتيقن أنّ الوسيلة-الوسيطة لها مقام كبير لا يجوز الاستهانة بها، لكن طلب الوسيلة لا يستحق لها إجابة الله للطالب انْ لم يكن له غاية وهدف مرسوم في القلب، وقابل للتطبيق على الأرض، كما سمعتَ دعوات موسى (عليه السلام) يطلب الوسائل، ويَلُحّ في طلبه، وليجعل طلبه موضع الاهتمام والالتفات والإجابة الإلهية السريعة، ذَكَر المقاصد من وراء دعائه، وسرُّ الإجابة كان في إلحاحه وابتهاله. فَطلَبُ الوسائل من الله عبادة، وكسبه من الإنسان فريضة.

من المحتمل أنْ تكون للكلمات التي دعا بها موسى (عليه السلام) جانب مقاصدي، أو يُقرأ من متدبر للآيات ويؤمن بأنّ مضموناتها كلّها مقاصد من كل جانب، لا يهمني إن كانت هذه القراءة صحيحة معتبرة أو سقيمة غير معتمدة، الذي يهمني، وأؤمن به، وأعتمد عليه من الجانب الذي أراه والاطمئنان الذي يسود قلبي أن (انشراح الصدر) و(تيسير الأمر) و(فتح عقدة اللسان) و(توزير هارون لأخيه موسى)، الأربعة جميعها وسائل (ايمانية) و(واقعية) و(بدنية) و(اجتماعية-سياسية) كانت من الضروريات المنهجية والقلبية والحركية لموسى(عليه السلام) لذلك ألحّ في دعائه، وتكلّلت جهوده

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

الدعائية بنجاح، واستجاب الله له وأعطاه ما تضرّع من أجله و" لمّا أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي (لعنه الله) عرف أنه كلّف أمراً عظيماً وخطباً جسيماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش، رابط وصدر فسيح، فاستوهب ربّه أنْ يشرح صدره ويفسح قلبه، ويجعله حليماً حمولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات، وأنْ يسهّل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب"[xxxv].

الوسائل الأربعة التي منحها الله تعالى لموسى (عليه السلام) من: (الانشراح) و(التيسير) و(الفتح) و(التوزير) كانت في سبيل الوصول إلى المقاصد الخمسة: (التسبيح) و(الذكر) و(التبليغ) و(الشّوكة) و(الشراكة) وهي من المقاصد الأولية الكبرى، لماذا أطلقنا عليها أولية كبرى؟، لأن المقاصد الخمس ليست المرحلة النهائية من التدّين والتأمل والترجي والتأهل والسعادة، بل الأصح أنّ المقاصد الأربع مقصودة من أجل مقصد واحد وهو: مقصد رضى الله سبحانه وتعالى، ومقصد رضى الله تعالى مطلوب من أجل مقصد آخر وهو: الدخول إلى دار الخلود. ويُمكن أنْ أسمي المقصدَين بالمقاصد القممية أو العلوية، فالخمسة مقاصد من وجه، ووسائل من وجه آخر، إنْ نظرنا إليهم باعتبار الحال فَهُم وسائل للمقاصد، وإنْ نظرنا إليهم باعتبار المستقبل فَهُم مقاصد وأهداف وقسْ على ذلك.

الوسائل الأربع جالبات ومساعدات للمقاصد الأربع، لكنّ الجالب الأقوى، والمساعد الأقدر هو الشراكة، والتعاون والتآزر بين النبيّين والرسولين الذي دعا له موسى بالوزير والشريك و" اجعل هارون أخي شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك، فإن التعاون يتزايد به الخير ويتكاثر، (إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً) أي عالما بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا"[xxxvi].وكلّ مقصد عظيم يحتاج إلى وسيلة عظيمة، وكلّ وسيلة عظيمة تجلب لنا مقصداً عظيماً، وكلّ وسيلة حقيرة تنقص شيئا فشيئا من قيمة المقصد، ولو كان مقصدا عاليا، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

كلّ جماعة مدعوة إلى دين الله لها صفات سالبة خاصة بها، وقد يكون لها صفات تتسم بالإنسانية إلى حد ما، في ظرف ما، لاعتبار ما، وربما نجد خطاً أو خطوطاً مشتركة بينها وبين جماعة أخرى في السلبية أو الايجابية، ونعلم ذلك ونتعّلم عَبْر التجربة والتعامل مع الجماعتين، ووجدنا عَبر (منهج القرآن) لقصص الأمم والجماعات والأفراد، وعَبر (تجربة أهل القرآن) من الدعاة والعلماء والمجاهدين مع الأمم والجماعات، أنّ منْ هؤلاء وأولئك جماعات جاهلة وعنيدة وماكرة ومتآمرة إلى أعلى مستوى لها من الجهل والعناد والمكر والتآمر، وهناك غيرها من الجماعات هي جاهلة وحاقدة ومتآمرة لكن في دَرَكة أقل، وشراسة أنقص، ورد فعل أوْكَس، في النهاية كلّ من الجماعة الأولى والثانية تتسمان بالجهل والتجاهل والحسد والحقد والغرور والكذب والتدليس، وفي كثير من المراحل يُخرجون الانبياء وأتباعهم وأنصارهم من بلادهم ويذبحونهم، ويحتلون أرضهم وديارهم، ويسرقون ميراثهم ويزيّفون تأريخهم وثقافتهم ولغتهم ودينهم وأخلاقهم إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً. قال تعالى: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) ٧٠-سورة المائدة.قال تعالى:(وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) ١٤١-سورة الاعراف.

وأمام هذا الزحف المظلم، والسَيل المجرِف، والخطر الوجودي المحدِق لكل ما هو دين أو متدّين من الأفراد والفئات والأُسَر والمجتمعات بات من الواجب الديني والعقلي والوجداني توفير الوسائل، وتجهيز الأسباب لمواجهته، وحَفر الطريق أمامه ليقع فيه ولا تصل إلى مقاصده!. مرَّ موسى(عليه السلام) بهذه التجربة الفريدة في ثقلها وظلمتها وقساوتها، بعد أنْ دعا فرعون وقومه وأعلن رسالة ربه لمن حوله، وصدع بقول الحق في وضح النهار في وجه فرعون وملئه وجنوده وسَحرَته، وجرّاء ذلك نال منهم التهجير والتهديد بالموت والإفناء لشخصه وأتباعه ودعوته ودينه. فاتخذ من (الوسائل الشرعية-العقلية المرنة) و(الوسائل الكونية-القدَرية الخشنة) المناسبة ما يُمكِّنه من تذكيرهم ببطلان موقفهم، وإقناعهم ولو في غمرات موتهم بأنّ هناك الهاً للعالمين هو مطلق في وجوده، وعلمه، ونعمه، ونقمه، وعذابه، وثوابه، على هذه الأُسُس قَسَّمتُ الوسيلة الموصِلة إلى المقاصد الإلهية في دعوة موسى (عليه السلام) إلى قسمين: الأولى: وسائل قوية مؤثرة لنعومتها ومرونتها، الثانية: وسائل قوية مؤثرة لصلابتها وقَسْوتها. في الحقيقة أنّ الوسائل الموسوية الدعوية كلها كانت متَّصَفة بالقوة في بنيتها، وتأثيرها، واختيار أيامها وفصولها وشخوصها. وكلّها -كما في قوتها- كانت متَّصَفة بالحجية والسَنَدية والشهودية على فرعون وجنوده، وبمثلها كانت حجة على قوم موسى المؤمنين. من الصور المرنة والناعمة في إعمال الوسائل الدعوية معجزات الله على يدي النبي موسى(عليه السلام):

أولاها: وسيلة المشهودات كاليد البيضاء والعصى الخارقة على يدي النبي موسى قال تعالى:(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) ١٠٧-١٠٨الاعراف.

وثانيها: وسيلة البيّنات الارشادية والتصحيحية لأتباعه قال تعالى:(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) ٩٢-سورةالبقرة قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)٢٠-سورة المائدة.

الثالثة: وسيلة صلابته وتحدياته وردوده الكلامية على فرعون وسَحَرته قال تعالى: (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) ١٠٢-سورة الاسراء. ومن الصور الغليظة والحادة في إعمال الوسائل الدعوية لدى النبي موسى (عليه السلام):

أولاها: وسيلة الدعاء على فرعون وملئه ومعاونيه قال تعالى:(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)٨٨-٨٩ سورة يونس.

ثانيها: وسيلة معجزات الله سبحانه في عقاب فرعون وقومه المتمثلة في الآيات التسع قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ)١٠١-سورة الاسراء قال تعالى:(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)١٣٣- سورة الاعراف.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

ثالثها: وسيلة الانشقاق الإيماني والبرهاني بين فرعون وسَحَرته واعراضهم عن منهج فرعون واستبداده وطغيانه، ولو أن هذه الوسيلة لم تكن مباشرة بيدي موسى، بل كان بهداية الله لهم وجعله سبحانه وسيلة مؤيدة لموسى(عليه السلام) قال تعالى:(وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ، قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ، قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ، وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)١٢١- ١٢٦سورة الاعراف.

رابعها: وسيلة الإغراق والإهلاك ووسيلة جعلهم درساً بليغاً وعبرة صالحة لكل زمان ومكان قال تعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) ٩٢-سورة يونس.

النصوص نصّت على الوسائل وأمرَت بامتلاكها واستعمالها، وأخْبرت أنّ الوسائل ليست شيئاً جامداً وشأناً متحجَّراً، بل في أصلها وفرعها متغيرة ومتواصلة في التغيير دون توقف، فلكلّ نبي من الأنبياء، وولي من الأولياء، وكلّ داعية من الدعاة، ومؤسسة من المؤسسات، ولكلّ مرحلة من المراحل، وكلّ حركة، وكلّ دعوة، وكلّ جماعة، وسائل تخصها ووسائط تملكها قد تتكرر عند آخرين كالبيان والدعاء والكتابة ومجابهة الطغاة وقليل من الكرامات، وقد لا تتكرر ابداً كالمعجزات والوحي والخوارق من العادات.

من الوسائل التي قد تكررت في حياة الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء وسيلة الهجرة وترك البلاد خوفاً على الدين وحذراً من الوقوع تحت سطوة الطغاة والظالمين، وحدث هذا في حياة موسى(عليه السلام) مرّتين على الأقل، وعندما تُفكّر في دعوة موسى عليه السلام يحسم لديك بأن (الهجرة الجماعية الاضطرارية) وترك مصر لفرعون وجنوده كان من أولى الوسائل وأهم الأدوات لتحريرهم من ظلم فرعون وجبروته يقول تعالى: (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) ١٦-١٧سورة الشعراء، وقال تعالى: (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى)٤٧-سورة طه.

فوسيلة الخروج أو الهجرة بقصد الحفاظ على الإيمان، والطليعة المؤمنة من الهلاك والذوبان، والاستعداد للعودة، وتحرير الأوطان من الوسائل المتفق عليها بين الأنبياء والعلماء جميعاً ما عدا الحالات الاستثنائية. قال تعالى:(وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)٢٠-٢١سورة القصص، (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) ٥٢-سورة الشعراء. وصلى الله على سيدي ومولاي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

النتائج:

١-إنّ الاهتمام بـ(فقه الوسائل) قد فَرَضَ وجوده بشكل واسع، وبصورة مفصّلة في كل المنظومات العقدية والتشريعية والأخلاقية الإسلامية أثناء التطبيق لها وقبلها وبعدها.

٢-نحن أمام ميزان مختل وهو: أننّا فقراء في (فقه الوسائل وتسخيرها) وأغنياء في (فقه المقاصد وتشريحها) وهذا الافتقاد والمسكنة في قسم مهم من الفقه القرآني والحديثي، والوفرة، والتضّخم في قسم آخر يؤديان إلى انعدام التوازن، وانتشار الاختلال في الفهم الاجتهادي، والتطبيق الميداني للأحكام.

٣-نحن مصابون بالنسبية والمحدودية والتقصيرية في فقه (الوسيلة) وإعمالها، وذلك تَفرض على العلماء والباحثين للغوص أكثر، ولتحقيق أوفق، للخروج من سياجات لفظة (الوسيلة) والسياحة في دواخلها، والسباحة في مضامينها، لتعداد ومعرفة والابداع في جميع سياقاتها التوظيفية.

٤- أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يستخدموا وسيلة محرّمة في دعوتهم وهذا من المقطوع به عند المؤمن، أما استخدام بعض الوسائل قبل موعده الزماني شيء مفهوم لأنّهم أثناء تلك الحالات كانوا يعتمدون على الاجتهاد ولم يكن ذلك بالوحي مثل تعبيس النبي في وجه ابن مكتوم وخروج النبي يونس عليه السلام عن قومه دون اذن!.

٥-الوسائل من ناحية القيمة مقسّمة بين الأفضل والأرذل، وبينهما درجات ودركات، والآثام المتفجرة منهما مجزّئة ما بين الإثم الأعظم والإثم الأصغر، وبينهما أنماط مختلفة من الفجور والفسوق، كما أنّ للوسائل السليمة الخيّرة آثارها السليمة والخيّرة بين أعظمها وأدناها.

٦-الوسيلة يُمكن أن تكون في صورة (أفكار) تتمخض عن المعاناة الفكرية والنفسية لإنسان لوحده، ويجوز أنْ تكون (أدواراً) و(أعمالاً)يقوم بها إنسان آخر في خَلوته أو خلطته، ويحصل أن تكون (أشياء) يصنعها إنسان بالتعاون مع أخيه وحليفه ونصيره، فالوسيلة في مجملها منها (الهية المصدر) كالمعجزات والكرامات والخوارق من السلوك والعادات، ومنها (إنسانية المصدر) كالبيان والسنان والتخطيط والتحديث والتفعيل والهجرة والمفاصلة والمنازلة.

٧-وسائل موسى الدعوية في مجملها مقسّمة إلى صورتين وفي كلّ صورة أشكال وأنماط: الأولى: صور من الوسائل المرنة والناعمة. والثانية: صور من الوسائل الغليظة والحادة.

و أوصي إخواني الباحثين والباحثات:

بالكتابة في المجالات التي تخدم موضوع الوسيلة وأنواعها وأحكامها وتغيّراتها حسب تغيّر الزمان والمكان وتطور قدرة الإنسان في تحصيل الأدوات واستثمارها في خدمة الدعوة ومقاصدها، خاصة الوسائل الكبرى النصية والاجتهادية التي تمهّد لتحرير الإنسان من ظلم الإنسان، وقدوتنا في هذا المضمار سيدنا موسى عليه السلام وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

Journal of University of Raparin گۆڤاری زانکۆی ڕاپەڕین E-ISSN: 2522 – 7130 P-ISSN: 2410 – 1036

The Means of Preaching by The Prophet Moses-Peace be Upon him-in The Holy Quran
(Thought and Concepts)

Abdulrahman Mahammad Arif [1] - Othman Mahmud Saidulla[2]

[1]Department of Principles of Religion, College of Human Science, University of Halabja, Halabja, Kurdistan Region, Iraq.

[2]Department of Islamic Studies, College of Islamic Sciences, University of Sulaimani, Kurdistan Region, Iraq.

Abstract:

The means of preaching by the prophet Moses -peace be upon him - in the Holy Quran (thought and concepts) is the title of the current research, which is extracted from my PhD dissertation written in Arabic and titles: "Understanding the purpose and the outcome from prophet Moses' preaching perspective -pbuh- in the holy Quran, emancipation of human being as an example, an analytical study)". In this extracted research paper, I want to shed light on the means the prophet Moses- peace be upon him- adopted in his preaching. To fulfill this goal, I have divided the research paper as follow; after the preface, I have written an introduction under the title "understanding the means" and "understanding the merge between linguistic and terminology". Subsequently, the first chapter is introduced named inadequacy in "understanding and using the means" and ampleness in "goals and treatment". The second chapter will focus on triangular understanding of the means and some other understandings. Chapter three attempts to deal with a core question: Have the prophets – peace be upon them- used illegitimate (illegal) means in their preaching? an apparently difficult question with a simplified answer. Chapter four is allocated for talking about public call for the right path as well as the means (tools) and their usefulness. Finally, in chapter five, I will try to discuss the means utilized by prophet Moses – peace be upon him – in his preaching as referred to in the holy Quran. The method adopted to conduct the current study is inductive, analytical and imaginary for the whole of My PhD. thesis and this research also.

Keywords: The Means, Moses Call, Firaun, Diligence.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

المصادر:

القرآن الكريم

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي– بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتا ب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس سنة ١٩٨٤ هـ

مقاصد الشريعة الإسلامية الشيخ الطاهر بن عاشور تحقيق ودراسة محمّد الطاهر الميساوي، دار الفجر –دار النفائس الاردن، ط١-١٩٩٩م.

استثمار النص الشرعي بين الظاهرية والمقتصدة-دراسة في المنهج الأصولي في فقه النصّ، أحمد ذيب، مركز نماء للبحوث والدراسات-دراسات شرعية ١٣، ط١، ٢٠١٥، بيروت -لبنان

قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية-دراسة أصولية في ضوء المقاصد الشرعية ، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية –الرياض، ط١، ١٩٩٩م.أطروحة دكتوراه.

غمرات المقاصد بحوث في ترسيخ الوعي المقاصدي أ.د قُطب الريسوني، دار المَيمان للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، ط١، ٢٠١٩م. البحث الثالث تحت عنوان: الترجيح بين الوسائل مسالكه, وضوابطه، وعوائده.

المقاصد الدعوية في القرآن الكريم ، نورالدين بن مختار الخادمي من مجلد ٢، مجموعة بحوث –تحرير محمّد سليم العوا، سلسلة الدورات العلمية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي-مركز دراسات مقاصد الشريعة، ط١-١٤٣٨هـ-٢٠١٦م.

قواعد الاحكام في مصالح الأنام الإمام المحدّث سلطان العلماء أبي محمد عزالدين عبدالعزيز ابن عبدالسلام السلّمي ت ٦٦٠هـ، ضبّطه وصحّحه عبداللطيف حسن عبدالرحمن، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١/ ١٩٩٩م

القواعد الكبرى الموسوم بـ قواعد الأحكام في إصلاح الأنام شيخ الإسلام عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ت٦٦٠، حققه د نزيه كمال حماد –د عثمان جمعة ضميرية ، دار القلم ، دمشق، ط١-٢٠٠٠م.

الهوامش:

(i) الإسلامية- قواعد الوسائل في الشريعة دراسة أصولية في ضوء المقاصد الشرعية ، رسالة دكتوراه، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية –الرياض، ط١، ١٤٢٠-١٩٩٩م. ص٤٥-٤٦

(ii) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية-دراسة اصولية في ضوء المقاصد الشرعية ص٤١.

(iii) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية-دراسة أصولية في ضوء المقاصد الشرعية ص ٢٥.

(iv) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية-دراسة أصولية في ضوء المقاصد الشرعية ص٤٢.

(v) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية-دراسة أصولية في ضوء المقاصد الشرعية ص٤٧.

(vi) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية-دراسة أصولية في ضوء المقاصد الشرعية ص٤٧.

(vii) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية-دراسة أصولية في ضوء المقاصد الشرعية ص٤٧.

(viii) غمرات المقاصد بحوث في ترسيخ الوعي المقاصدي أ.د قُطب الريسوني، دار المَيمان للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، ط١، ٢٠١٩م. ص١٣٧ البحث الثالث تحت عنوان: الترجيح بين الوسائل مسالكه, وضوابطه، وعوائده.

(ix) غمرات المقاصد بحوث في ترسيخ الوعي المقاصدي ص١٣٧

(x) مقاصد الشريعة الإسلامية الشيخ الطاهر بن عاشور تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، دار الفجر –دار النفائس الاردن، ط١-١٩٩٩م ص٣٠٥.

(xi) مقاصد الشريعة الإسلامية – ابن عاشور ص٣٠٦

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31

(xii) استثمار النص الشرعي بين الظاهرية والمقتصدة-دراسة في المنهج الأصولي في فقه النصّ، أحمد ذيب، مركز نماء للبحوث والدراسات-دراسات شرعية ١٣، ط١، بيروت- لبنان ٢٠١٥م، ص١٩

(xiii) مقاصد الشريعة الإسلامية- ابن عاشور. بتصرف ص٣٠٨

(xiv) مقاصد الشريعة الإسلامية – ابن عاشور. ص٣٠٩

(xv) المقاصد الدعوية في القرآن الكريم ، نورالدين بن مختار الخادمي - مجموعة بحوث-تحرير العوّا مجلد٢ ص٨٣

(xvi) المقاصد الدعوية في القرآن الكريم ، نورالدين بن مختار الخادمي من مجلد٢ ص٨٥-٨٦

(xvii) التحرير والتنوير -الطاهر بن عاشور عند تفسيره للآية ١٠ من سورة يونس طبعة ١٩٨٤

(xviii) التحرير والتنوير – ابن عاشور عند تفسيره لآية ٨٧-٨٨ من سورة الانبياء طبعة ١٩٨٤

(xix) التحرير والتنوير– ابن عاشور عند تفسيره لآية ٨٧-٨٨ سورة الانبياء طبعة ١٩٨٤

(xx) يقول تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ٦٧-٦٨الانفال.

(xxi) يقول تعالى: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)٤٣-التوبة.

(xxii) يقول تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)١-٣ عبس.

(xxiii) ويمثل بـ: وسائل الكلمة والكتابة والمسرحية والتربية بالقدوة والإقناع بالمنجز والحمل الطوعي الإرادي.

(xxiv) ويمثل بـ: اختيار العبارات والموضوعات والأساليب في تناول الخطبة وتقديمها.

(xxv) المقاصد الدعوية في القرآن الكريم، نورالدين بن مختار الخادمي. بتصرف من مجلد ٢ ص٩١-٩٢.

(xxvi) قواعد الاحكام في مصالح الأنام للإمام المحدث سلطان لعلماء أبي محمد عزالدين عبدالعزيز ابن عبدالسلام السلّمي ت ٦٦٠هـ، ضبّطه وصحّحه عبداللطيف حسن عبدالرحمن، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١/ ١٩٩٩م ، ص٨٤.

(xxvii) قواعد الاحكام في مصالح الأنام ص٨٧.

(xxviii) قواعد الاحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ص ٨٤

(xxix) القواعد الكبرى الموسوم بـ قواعد الأحكام في إصلاح الأنام للشيخ الإسلام عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ت٦٦٠، تحقيق د نزيه كمال حماد –د عثمان جمعة ضميرية ، دار القلم ، دمشق، ط١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.ج ١ ص١٧٧

(xxx) يُنظر قواعد الاحكام في مصالح الأنام لتفصيلاتها ص٨٤-٨٦.

(٣١) قواعد الاحكام في مصالح الأنام ص٨٧.

(٣٢) يُنظر لتقصيلاتها قواعد الاحكام في مصالح الأنام ص٨٤-٨٧.

(٣٣) القواعد الكبرى الموسوم بـ قواعد الأحكام في إصلاح الأنام للشيخ الإسلام عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ت٦٦٠، تحقيق د نزيه كمال حماد –د عثمان جمعة ضميرية ، دار القلم ، دمشق، ط١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.ج ١ ص١٧٧

(٣٤) بتصرف، التحرير والتنوير، ابن عاشور في تفسيره لآية ١٨ من سورة طه.

(٣٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، في تفسيره لآيات ٢٩-٣٥من سورة طه.

(٣٦) الكشاف، الزمخشري، ، في تفسيره لآيات ٢٩-٣٥من سورة طه.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper31